قضايا الأدب والأدباء

بين القروي وزيتون

بقلم : عبد اللطيف اليونس

اعترف ، سلفا ، ان لا مجال لهذا القلم ، ولا لاي قلم، ان يتدخل بين « الشاعر القروي » ، والاستاذ « نظير زيتون » .

فذاك علم من اعلام الشعر . وهذا علم من اعلام البيان .

وهما زميلان في « العصبة الاندلسية » ، ورفيقان في خضم الاحداث ، وصديقان منذ عهد طويل . فالاخاء بينهما وثيق العرى ، عميق الجذور . والصداقة تمتد الى اكثر من ثلث قرن ــ وما تزال في قوتها وفتوتها ونضارتها.

ولكن المقال الذي كتبه الاستاذ « زيتون » في مجلة « الضاد » ــ واجاب عليه الاستاذ « القروي » في مجلة « الآداب » ــ قد تحدث فيه « النظير » عن اهمال الحكومات المتعاقبة ، دعوة ادباء مهجريين لزيارة الوطن الام . واقتصار الدعوة على الشاعرين الكبيرين « القروي » و « فرحات » . وقد جعلني ذلك المقال ، بصورة لا ارادية، شخصا ثالثا في الموضوع .

لانه قد كان لي ، وحدي ، شرف تقديم اقتراح لمجلس النواب بدعوة « القروي » و « فرحات » لزيارة سورية . وكان ذلك سنة ١٩٥٧ .

ووافق المجلس على الاقتراح ، واحاله الى وزارة الخارجية السورية للتنفيذ . وادى قيام الوحدة بين سورية ومصر الى تأجيل تنفيذه فترة غير قصيرة .

ولم نتوان خلال هذه الفترة عن مراجعة السلطات المسؤولة ، هنا وهناك ، لتحقيق الرغبة المرجوة ، وتنفيذ قرار المجلس .

وجاء « القروي » ، ثم جاء بعده « فرحات » تصحبه عقيلته .

واشترك الاستاذ « زيتون » باكثر حفلات التكريم التي اقيمت لهما ، وكان علما من اعلامها ، ورائدا من روادها .

وعاد « فرحات » الى البرازيل . واعلن « القروي » عن رغبته في البقاء ــ وليس له في وطنه اسرة ، ولا بيت، ولا موطىء قدم .

وللقروي ، في تاريخ النضال والكفاح ، ماض طويل عريض . ومواقف مشرفة كريمة ، ومكانة في قلوب العرب بينة مرموقة . فهو وحده مدرسة في الوطنية ، ووحده ملحمة في تاريخ الاغتراب والمغتربين . وخصصت له السلطات المسؤولة مرتبا شهريا يتقاضاه من الخزانة مدى الحياة .

وماضي « فرحات» كماضي « القروي » . ونضاله وكفاحه كنضاله وكفاحه . وهما ــ ايضا ــ زميلان في « العصبة الاندلسية » ــ ورفيقان في خضم الجهاد والاحداث .

ولم يخصص لفرحات مثل هذا الراتب ــ رغم الموجبات الكثيرة والمبررات ! وانا ، شخصيا ، لا اجد عذرا للمسؤولين في هذا الاهمال ــ لا امس ولا اليوم . واذا كانت الدولة قد قامت ببعض واجباتها تجاهه ، فقد اغفلت الكثير . . !

وكان الاستاذ « زيتون » قد عاد قبلهما ببضع سنين. وكتبت بعض الصحف انه يملك عمارة ضخمة في حمص ! مع انه لا يملك الا عمارة من الادب الرفيع ، وجبلا من المروءة والترفع ، وجيلا من الخدمات المتواصلة ، وكنزا لا يفنى من الثقافة والمعرفة ، عمر بهما المكتباب في الوطن والمهجر ، وغذى بهما الناطقين بالضاد ، هنا وهناك .

وعين الاستاذ « زيتون » عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق . وكان هذا التعيين تقديرا للعلم ، وتكريما له ، قبل ان يكون تكريما لنظير زيتون ، وتقديرا لجهوده وجهاده .

بقي ان نعترف بالقصور والتقصير تجاه الادباء المهجريين ــ من شعراء وكتاب . وكانت النية متجهة الى دعوتهم على مراحل ــ قافلة بعد اخرى . وحالت الاحداث المتتالية دون تحقيق هذه الرغبة امس . . ويجب الا تحول اليوم .

ويذكر الدكتور « جمال الفرا » ، سفير سورية الحالي في روما ، انه قد اصطحب معه حينما عين سفيرا في البرازيل ، قائمة باسماء الادباء الذين يجب دعوتهم بالتتابع لزيارة سورية . وانه لم يغفل اسم اديب معروف، من حملة الاقلام ــ سوريين ولبنانيين ــ في المهجر . ولكن الظروف ــ نفسها ــ قد اخرت تنفيذ هذا البرنامج ــ الذي ما يزال في مخيلة المسؤولين فكرة واملا .

من المسلم به جدلا ان ليس كل المغتربين العرب اغنياء . ولعل اشدهم حاجة الى العون والحدب ، هم بعض حملة الاقلام فيه . فذلك العالم الجديد قد طغت عليه الآلة حتى طغى هديرها على صرير الاقلام . واستبدت بمجتمعه نزعة مادية ما تزال تبتعد شيئا فشيئا عن مجتمعنا الشرقي ، وتقاليده ومقوماته . وقد اصبح لزاما على المسؤولين ، في الوطن الام ، ان يتعهدوا تلك الاقلام بالعناية والوعاية ، بعضها ليستمر في الانتاج ، وبعضها تقديرا لما وهب في غابر السنين ــ وسواء من عاد منهم الى الوطن ، ام بقي في المهجر .

وان هذه الفئة الخيرة النيرة ، التي احتضنت قضيتها طوال عشرات السنين، ودافعت عن لغتها وقوميتها دفاع الابطال ، واضافت الى خزانة الادب العربي ثروة جديدة لا نفاد لها ، وكتبت بعرق جباهها ، وذوب افئدتها، اروع ملحمة ، في اروع تاريخ نضالي وبطولي .

ان الكثيرين من هذه الفئة المؤمنة كانوا يمسكون « الآلة » بايديهم ليتغذوا بها ، ويمسكون القلم باخرى ليغذوا به الاخرين . وكان لا بد ان تتحطم « الآلة » ، او يتحطم « القلم » . فآثروا « القلم » على « الآلة » ، وانصرفوا عن غنى المادة الى غنى الروح . وتخلوا عن جيب عامر بالمال ، في سبيل قلب عامر بالايمان ، وضمير ملتهب بالاحساس الوطني والقومي . وسجلوا انتصارا على الانانية والعجمة ، وقسوة الحياة .

ان الادباء المهجريين حملة رسالة ــ رسالة قومية

يسر «الآداب» ان تعلن ان عددها السنوي الممتاز سيكون في العام القادم خاصا بـ

فلسطين

فلسطين : الارض المقدسة التي يستعد العرب اليوم ، في جميع اقطارهم ، لاسترجاعها من الصهيونية المغتصبة ، والتي طبعت النتاج الادبي ، في السنوات الخمس عشرة الماضية ، بطابعها المأساوي العنيف .

و « الآداب » تدعو ادباء العربية ، من دارسين وقصاصين وشعراء ، الى المشاركة في تحرير هذا العدد الضخم الذي سيصدر في مطلع اذار (مارس) القادم ١٩٦٤ .

وانسانية . وقد ادوا رسالتهم على اكمل وجه ، وفي اقوم سبيل . وما يزال الباقون منهم على قيد الحياة ، يؤدونها احسن اداء ، واجمله واكمله .

وانه لمن المؤسف ، حقا ، ان يشعر واحدهم بالحاجة، مهما كان نوعها ، ولا تمتد لمساعدته يد مسؤول في وطنه الام .!

لقد اعطوا وطنهم كل ما عندهم ، وكل ما يملكون من طاقة وامكانات ،ولم يعطهم وطنهم شيئا مما يستحقون ويستأهلون .!

ان بعضهم في غنى عن كل مساعدة وعطف ، وبعضهم في امس الحاجة للمساعدة والعطف .

اليس من المؤلم والمخجل ان تضطر الجالية الحمصية، في سان باولو ، لتقديم اعانة شهرية للشاعر المبدع « نصر سمعان » ، بينما تستطيع بلاده ان تختصر حفلة رسمية واحدة ، تضمن له من نفقاتها حياة كريمة طوال عدة سنين ؟!

وذوو الحاجة ، من الادباء المهجريين النوابغ ، كثيرون، وهم لما يجف مداد اقلامهم بعد ، وانما جفت موارد رزقهم، مثلما جف ماء الحياء في وجوه الكثيرين (١) !

وطويت صحف كثيرة . واغلقت مطابع عديدة . وما تزال القصة التي رواها لنا شاعرنا العبقري « جورج صيدح » ، عن شاعرنا الراحل « ايليا ابي ماضي » ، وكيف اضطر الى ان يبيع مطبعة « السمير » ، واحرفها العربية بسعر الحديد الخام ! مثار تعليقات شتى ، ومثار الم جارف عنيف .

الحكومات العربية توزع « الاعانات » على الصحف المحلية وتمسكه عن الصحف المهجرية !

في البلاد هنا مصلحة خاصة يجب ان تراعى . وفي المغترب ، هناك ، مصلحة عامة لم يحن عهد مراعاتها بعد ! او لم يحن عهد الاهتمام بها ، والالتفات اليها !

ومتى كانت المصلحة العامة ، في شرقنا العربي ، تقوم على المصلحة الخاصة ، وتسمو عليها ؟!

ذاك بحث معقد وطويل ، وشائك لا يأمن الداخل فيه من العثار !

ونحن في وطننا العربي نتعثر بالغبار ، اكثر مما يتعثر غيرنا في بلده بالصخور !

قضية المغتربين .. ليست قضية حزب ، ولا عهد ، ولا حكومة معينة . حتى ولا قضية جيل واحد من الناس. وانما هي بدون شك ، قضية الامة العربية باسرها . قضية كل من يهتم بتاريخ امته ، وامتدادها ، ووحدتها . قضية اصحاب الملايين في قطر ، والكويت ، والبحرين ، مثلما هي قضية اقارب المغتربين في دمشق وبيروت وعمان .

وفي يقيني ان العناية بالاقلام العربية في المهجر ، وتوجيهها ، والافادة منها ، واغناء اصحابها عن العمل في سبيل لقمة العيش ، وحصر كل طاقاتهم ، وامكاناتهم ، في سبيل اللغة العربية ، والاشراف على تعليمها لابناء المغتربين وحفدتهم .

في يقيني ان ذلك سيساعد الى حد بعيد على بقاء اللغة العربية حية نامية في المهجر . وبقاء هذا الجسر قائما بيننا وبين المغتربين فيه .

ان اللغة هي مظهر القومية وجوهرها ، واطارها ومحتواها . وهي اهم دعامة من دعائم بنائها وبقائها ووجودها . وكل تهاون بامر اللغة ـ لاي امة كانت ـ يعني التهاون بكيانها ووحدتها وخلودها .

وكل امة تخسر لغتها الاصيلة الاصلية ، ستندغم في غيرها من الامم كما يندغم الجدول في البحر . وتذوب فيها كما يذوب السكر في الماء .

ولهذا ، وبالنسبة لامتنا العربية ، فان مستقبل الملايين من ابنائها المغتربين ، متوقف ـ الى حد بعيد ـ على مدى احتفاظهم بلغتهم ، والمحافظة عليها .

ومتوقف على مدى ما تقدمه الحكومات العربية من مساعدات لهم .؟

ومتوقف على مدى نشاط المبعوثين السياسيين العرب ، واخلاصهم وتفانيهم ...

ومتوقف اخيرا ، لا اخرا ، على مدى حشد الاقلام العربية في المهجر ، وما تملكه من طاقات معنوية ، وكفايات علمية وثقافية . وتوفير جميع الامكانات اللازمة لها ، وتهيئة الفرص والظروف .

عبد اللطيف اليونس

---

(١) سننشر في العدد القادم فصلا عن الشعراء المغتربين والتجارة ، وفصلا اخر عن حنينهم الى الوطن الام .